



الساة وزيب اليهودية

عبدمنعم القاسم

دار الأمان
إسكندرية



محفوظ جميع الحقوق

رقم الإيداع ٣٢٣٤ / ٢٠٠٣

التدقيق الدولي

977-331-971-1



التنّاء وزينب اليهوديّة

خير وأحداثها ... قال رسول الله ﷺ:

اللهم ربّ السماوات وما أظللن
وربّ الأرضين وما أقللن
وربّ الشياطين وما أضللن
وربّ الرياح وما أذرين
فإنّا نسألك خيرَ هذه القرية
وخيرَ أهلها وخيرَ ما فيها
ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها
وشرّ ما فيها أقدموا باسم الله^(١)

من دعاء الرسول ﷺ.

حقّد اليهود:

دعا ﷺ دعاءه السابقَ عندما أشرف على دخول
خير في المحرم سنة سبع هجرية.

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام.

وقد كانت خير حصناً حصيناً لليهود في المدينة، لا يَظُنُّ ظانٌّ أن المسلمين داخلوها أبداً، ونسوق هنا حواراً بين يهوديٍّ فيمَن كانوا بذمة المسلمين وجوارهم أي من أهل الذمة وحُسن الجوار للمسلمين وهو أبو الشحم اليهودي وبين صحابيٍّ مسلم هو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَنرى كيف كان اليهود يُضمرون السوءَ للمسلمين، قبل أن نعرض أول محاولة يهودية لاغتيال الرسول ﷺ .

فلما أَسْتَعَدَّ الرسول ﷺ لدخول خير وتجهز النَّاسُ لذلك، شَفَّ على يهود المدينة الذين هم موادعون لرسول الله ﷺ، وعرفوا أنهم إذا دخلوا خَيَّبَ أهلك الله خَيَّبَر كما أهلك يهود بني قينقاع والنضير وقريظة .

يقول عبد الله بن حدرد الأسلمي: فلما تجهز لم يبقَ أحدٌ من يهود المدينة له على أحدٍ من المسلمين حقٌّ إلاَّ

لزمه، وكان لأبي الشَّحْم اليهودي عندي خمسةُ دراهم
في شعير أَخَذَتْهُ لِأَهْلِي فجاءني يطلب الدراهم.

قال أبي الشحُم اليهودي: ادفع لي ما عليك من حقِّ

فقال الأُسلمي: أَجَلِّني فَإِنِّي أَرْجو أن أَقدم عليك
فَأَقْضِيكَ حَقَّكَ - إن شاء الله - إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد
وَعَدَ نَبِيَّهَ خَيْرَ أن يُغْنِمَهُ إِيَّاهَا.

قال أبو الشحُم اليهودي ساخرًا - وقد ملأ قلبه الحسدُ
والغلُّ -: تَحَسَّبُ أن قَتَلَ خَيْرَ مِثْل ما تَلْقَوْنَه من
الأعراب؟ فيها والتوراة عشرة آلافِ مُقاتِلٍ!!

قال ابن أبي حُدْرَدٍ: أَتَخَوُّفُنَا يا عَدُوَّ اللهِ بَعْدَونا
وَأَنْتَ في ذِمَّتِنَا وجوارِنَا؟ والله لا أرفعُكَ إلى رسولِ
الله ﷺ .

(١) انظر: «المغازي» (ص ٦٣٤، ج ٢).

ومضى أبو حذرر الأسلمي إلى رسول الله ﷺ يشكو ما سمعه من هذا اليهودي الحاقـد ليبيـن له كذب إدعائهم بحسن الجوار، والذمة فقلت: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول هذا اليهودي، عندما ذكرت تأجيل ديني عنده وقلت له إن الله عز وجل قد وعدك بخير تغنمها منهم فقال لي: تحسب أن قتال خير مثل ما تلقونه من الأعراب؟ فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل!!

ويضيف أبو حذرر: فسكت رسول الله ﷺ ولم يرجع إليه شيئاً إلا أنني رأيت رسول الله ﷺ حرك شفـتيه بشيء لم أسمعهُ.

جاء اليهودي لرسول الله ﷺ شاكياً باكياً يقول: يا أبا القاسم، هذا قد ظلمني وحبسني بحقي وأخذ طعامي.

قال ﷺ: «أعطه حقّه»^(١). «يا عبد الله».

(١) «المغازي» (ص ٦٣٥، ج ٢).

فقال عبدُ الله بن أبي حذرد الأسلمي: فخرجتُ فبعثتُ
أحدَ ثوبَيَّ بثلاثةِ دارهمَ وطلبتُ بقيَّةَ حقِّه فقضيتهُ،
ولبستُ ثوبي الآخرَ، وكانت عليَّ عمامةٌ فاستفأتُ
بها، واعطاني سلَّمة بن أسلم ثوباً آخرَ، فخرجتُ في
ثوبين مع المسلمين.. ونفلي الله خيراً^(١).

هكذا تبين حقد هؤلاء على رسول الله ﷺ
ولنضرب الزمثلة علي ذلك.

يحرفون الكلم:

كان اليهودُ من دافعِ حقِّهم يُحرفون الكلمَ، فكلما
اجتمعوا بالرسول ﷺ وأرادوا أن يستمعوا إليه
يقولون له: «راعنا سمعك، واسمع غير مسمع، وظن
بعض المسلمين أن هذا شيء من أدب أهل الكتاب،
فجعلوا يقولونه للرسول ﷺ كما تقوله اليهودُ،

(١) المصدر السابق.

وكلمة «راعنا» بلسان اليهود - كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه - تعني السبُّ القبيح والرعونَة.

ويُروى عن أوثق المفسرين: أنها كلمة كره الله عزَّ وجلَّ أن تُقال لنبه عليه السلام كما كره النبيُّ أن يقال للعنب كرم، وللملوك عبدي^(١).

وفي اللغة أن راعنا معناها في اللغة العربية: أرعنا سمعك من الرعاية: «أرعاه سمعه أصغى إليه، ومنه قوله تعالى راعنا»^(٢).

وكان اليهود يقصدون بها السخرية والشتم لاشتباه كلمة «راعنا» بالرعونَة والحقاقة، وبذلك يكون مقصدهم من الجملة أو معناها عندهم: واسمع غير مسمع، وراعنا: أي اسمع منا لا أسمعك الله.

(١) انظر: «تفسير الطبري» سورة النساء الآية: ٤٦.

(٢) انظر: «مختار الصحاح» (ص ٢٤٨) مادة «وعى»، ط ١.

ولذلك نهى الله عز وجل المسلمين أن يتشبهوا
بهؤلاء اليهود في مخاطبته ﷺ بجملة تشتمل على
معنيين متعارضين هما: الرعاية - الرعونة.

ونزل قول الله عز وجل يحذر المسلمين من هذا المقصد
الخبث لليهود فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٠٤). أي: قولوا
انتظرونا وأمهلنا حتى نفهم ونعي ما تتلوه علينا من آيات
القرآن الكريم.

البخل والتلح:

اليهودي معروف ببخله، ولا جدال من ذلك،
ولكن عندما يأمر اليهودي آخر بالبخل فإنه هنا يخرج
عن مألوف إلفناه بالبخل في طبعه، حتى أنه يحض
الناس على البخل.

لم يكن طبعهم البخل فقط هو الدافع ولكن
حقدهم وكراهيتهم للمسلمين جعلتهم يجلسون إلى

الأنصار ويتحدثون إليهم ، ويحذرونهم عاقبة إنفاقهم
لأموالهم في سبيل الله ، ويقولون لهم: إنكم لا تدرون ما
يكون غداً، وإنّا نخاف عليكم الفقر في ذهابها!

ولم يبخلوا بالمال وحده وإنما بخلوا بعلمهم ، فكانوا
إذا سألهم المهاجرون والأنصار عن شيء من أحكام أو
أخبار تكون قد جاءت في التوراة مصدقةً لرسالة محمد
ﷺ كانوا ينفونها للتشكيك أو يكتمونها عنهم ، وقد
نزل قول الله عزَّ وجلَّ فاضحاً هذا الموقف ، فتوعدهم
بالعذاب المهين ، يقول عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ يَخُلُون وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾

(سورة النساء: ٣٧) .

بهذا العرض بينا هذا الحقد الكامن في نفوس
هؤلاء ، ولذلك قرّر الرسول ﷺ إخراجهم من
المدينة ، وكانت خبير هي آخر وأكبر معاقبتهم ، ولذلك
سنعرض على أحداثها بعد أن عرضنا لهؤلاء .

أحداث خيبر:

أقام الرسولُ بعد صلح الحديبية في المدينة شهر ذي الحجة سنة ست هجرية وأياماً من المحرم سنة ٧ هجرية، ثم بدأ ﷺ بتنفيذ خطة للاستيلاء على خيبر بعدما رأى من اليهود نفاقاً شديداً، وعدواةً بينة، رأى على أثرها تجمعاً لهم في خيبر ليكيدوا للمسلمين، وما إن علمت غطفان بخروج الرسول إلى خيبر أو استعدادهُ لذلك حتى خرجوا هم أيضاً لمعاونة حلفائهم يهود خيبر وانضمت إليهم قبائل بني قينقاع والنضير.

كان عدد المسلمين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ ألفاً ومائتين من أبطال المسلمين بينهم مئتا فارس، وقطع المسلمون شوطاً شقاً على الناس حتى وصلوها في المساء.

عسكر المسلمون ليلاً حول حصون خيبر، وعندما أصبح الصبح، وبدأ اليهود بتأهبون لعملهم فاجأهم

المسلمون فاضطرب اليهود، وولى فريق منهم هارباً إلى الحصون. وقال ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، ثم هاجم المسلمون الحصون، وخرج يهودي اسمه مُرحب، مشهور بالفروسيّة. فأنشد قائلاً:

قد علمت خيبرُ أني مرحبٌ شاكي السلاح بطلٌ مجربٌ
اطعن أحياناً وحيناً اضرب إذا الليوث أقبلت تجربُ
إن حماي للحمى لا يقربُ

ثم نادى من يبارز؟ من يبارز^(١).

فخرج إليه محمد بن مسلمة، وتبارز الرجلان حتى قتلَ محمدُ بنُ مسلمة مرحباً، وخرج أخو مرحب يريد القتالَ، فبرز له الزبير بن العوام وقتله فاشتدَّ القتال واقترح المسلمون حصونَ خيبر، وكان لهم النصرُ المؤزرُ، فأصبح من بقيَ من اليهودِ وأموالهم غنيمةً للمسلمين، إلا أنَّ الرسولَ ﷺ أعطاهم الأمنَ

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام.

والأمان، لكنهم امتلأوا حقداً يزيد على حقدِهم، وبدأ اليهودُ ترجمة هذا الحقد إلى مؤامرةٍ كبرى، اتسمت بالغدر، والخسّة، وكانت صاحبة هذه المؤامرة هي زينب بنت الحارث اليهودية التي فقدت أخاها مرحباً وكان فارساً ذكرنا موقفاً سابقاً له، وقُتل زوجها سلام بن مشكم، وهو فارسٌ يهوديٌّ أيضاً.

المؤامرة:

لما فتح الرسولُ خيبر وأطمأن، جعلت زينب بنت الحارث تسأل: أيُّ الشاةِ أحبُّ إلى محمد؟ فيقال لها: الذراع والكتف؟ تأملت قليلاً ثم مضت إلى حظيرتها، وهي تقول: لن يصلح القتال مع محمد، إنما قتاله يكون بالسّم، فقد كثر أتباعه وتناولت سيوفهم، وما أن وصلت إلى حظيرتها حتى أمسكت بالشاة وهمت بذبحها، ولكنها توقفت قليلاً وهي تقول لأبحث أولاً عن أفضل السموم، ومضت إلى رجالٍ ونساءٍ يهوديات

لهنَّ دراية في السموم، فاجمعوا لها على سمٍّ سريع لا يُبطئ في مفعوله، فأخذت منه وعادت إلى حظيرتها فأمسكت بالشاة وذبحتها، ثم أكثرت السمَّ في الذراعين والكتفين. وقامت بشيها وإعدادها على النار، وعادت فوضعت السمَّ مرةً أخرى.

فلما غابت الشمس صلى رسول الله ﷺ المغرب وانصرف إلى منزله فإذا به يجد زينب جالسةً أمام داره، فلما سألها عن سبب مجيئها قالت: أبا القاسم، هديةٌ أهديتها لك - وكان ﷺ يأكلُ الهدية ولا يأكلُ الصدقة^(١). فما إن حان وقت العشاء وحتى أمر الرسول بالهدية فوضعت بين يديه، ثم قال ﷺ لأصحابه، وهم حُضور أو من حضر منهم: ادنوا فتعشوا! فدنوا ومدُّوا أيديهم، وتناول رسول الله ﷺ الذراع، وتناول معه الطعام بشر بن البراء، وما إن نهش رسول الله ﷺ منها نَهْشَةً، فلما ازدرد رسول الله ﷺ

(١) «الغازي» للواقدي (ص ٦٧٧، ج ٢).

منها نَهَشًا. تنهش بشر، فلما أكلَ رسول الله ﷺ
أكلَ بشر ابن البراء.

فقال رسول الله ﷺ فجأة: «كُفُّوا أيديكم فإن هذه الذراع
تُخبرني أنها مسمومة».

فقال بشر بن البراء: نَعَمْ والله يا رسول الله وجدت
ذلك من أَكَلْتِي التي أَكَلْتُهَا، فما منعني أن أَلْفِظَهَا إِلَّا
كراهية أن أَنْغَصُ عليك طعامك، فلما تسوَّغت ما في
يدك لم أرغب بنفسِي عن نَفْسِكَ^(١).

بعد هذه الكلمات مباشرة تغيَّر لون بشر بن البراء
وبدأ يعاني من آلام السم وظل يعاني من هذه الآلام
حتى مات في هذا العام.

أما رسول الله ﷺ فقد عصمه ربه من النَّاسِ
ومن غدر الحاقدين ومن اغتيال الماكرة الأثيمة، فقد
عاش ﷺ بعدها ثلاث سنوات.

(١) أورد هذا النص الواقدي في «المغازي» (ج ٢، ص ٦٧٨).

ودعا رسول الله ﷺ على الفور زينب بنت الحارث اليهودية فقال لها: «سممت الذراع؟» - يقصد ذراع الشاة -، فقالت: من أخبرك؟، فقال ﷺ: «الذراع!!» فقالت: نعم. قال ﷺ: «وما حملك على ذلك؟»، قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي. ونلت من قومي ما نلت، فقلت: إن كان نبياً فستخبره الشاة ما صنعت، وإن كان ملكاً استرحنا منه.

ولما كان القصاصُ حياةً وعدلاً، شرعه الله في كتابه العزيز، فقد أمر رسول الله ﷺ بها فقتلت^(١). وقد جاءت روايات أخرى تقول: فتجاوز عنها رسول الله وعفا عنها^(٢).

ولم تكن هذه الحادثة هي أول محاولات اليهود لاغتيال النبي ﷺ أو آخرها، إنما كانت البداية، فقد دأبوا على إيذاء جسده، وإيذاء نفسه، فعصمه الله منهم.

(١) «المغازي» (ج ٢، ص ٦٧٨).

(٢) ابن كثير «البداية والنهاية» (ج ٤، ص ٢٠٨، ص ٢١١)، انظر: قصة الشاة المسمومة.